العرب
الأحد 2021/10/03
السنة 44 العدد 12198

قيس سعيّد... وبورقيبة وبن علي!

هل تكسب نجلاء بودن الرهان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

مرّة أخرى، يبادر الرئيس قيس سعيد إلى تغيير قوانين اللعبة البائسة التي لا أفق لها والتي يسعى الإخوان المسلمون إلى جرّه إليها في تونس، بل إلى فرضها على تونس. يفعل ذلك كي تبقى تونس دولة مختلفة ذات وجه مضيء، دولة قادرة على الدفاع عن الإنجازات التي تحقّقت منذ الاستقلال في العام 1956 بالاعتماد على الرجل والمرأة في الوقت ذاته.

جعلت تلك الإنجازات من تونس دولة مدنيّة ذات مكانة على خارطة منطقة شمال أفريقيا وفي ما كان يسمّى العالم العربي كلّه. كان ذلك قبل أن تصبح هناك عوالم عربيّة كما الحال عليه الآن. ليس صدفة أن مقرّ جامعة الدول العربيّة انتقل إلى تونس بعد القطيعة المؤقتة مع مصر التي وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل في آذار – مارس 1979.

تعيين نجلاء بودن على رأس الحكومة يكشف جرأة كبيرة وتصميما على المضي في الإصلاحات إلى النهاية. كذلك، يكشف أن لا ثقة لدى قيس سعيد، وربّما لا ثقة أيضا لدى المؤسستين العسكريّة والأمنيّة، بالشخصيات السياسية والحزبيّة التونسيّة

ليس تعيين امرأة، هي السيّدة نجلاء بودن رمضان، رئيسة للحكومة حدثا عاديّا في تونس، خصوصا أنّها من القيروان، المدينة الداخلية العريقة، التي يحظى أحد أبنائها للمرّة الأولى بموقع رئيس الحكومة.

أراد قيس سعيّد تأكيد أنّ لا عودة إلى الخلف، أي إلى التخلّف والتجاذبات التي حاولت حركة النهضة بزعامة راشد الغنّوشي فرضها، كي تحلّ الفوضى على كلّ المستويات، خصوصا في مجلس النواب. ليست لدى أحزاب من نوع النهضة، أكانت ذات طابع شيعي أو سنّي، غير برنامج واحد. يتمثّل هذا البرنامج في تهديم مؤسسات الدولة والقضاء على كلّ ما هو حضاري فيها.

ما كان لمصر أن تنهض وتستعيد عافيتها لو بقي الإخوان في السلطة بفضل واجهة اسمها محمّد مرسي. انتفض الشعب المصري، بدعم واضح من المؤسسة العسكريّة، كي يمنع بلده العريق من السقوط. انتفضت تونس بدورها بفضل قيس سعيد من أجل وضع حدّ لتدهور مستمرّ منذ بداية العام 2011 عندما اضطرّ الرئيس الراحل زين العابدين بن علي إلى مغادرة البلد تحت ضغط شعبي سميّ "ثورة الياسمين".

لم يستطع بن علي في السنوات الأخيرة من عهده تهيئة تونس لانتقال سلمي للسلطة عبر صناديق الاقتراع. سقط في فخّ عائلة زوجته ليلى الطرابلسي وفي فخ "السيّدة الأولى" نفسها التي باتت الرجل الأوّل في تونس فقضت على كلّ إنجاز تحقّق في عهد زوجها.

سيدخل قيس سعيّد، المدعوم من المجتمع المدني التونسي، من المرأة والرجل، ومن الجيش وقوات الأمن، التاريخ من بابه الواسع. سيتمكّن من ذلك في حال استطاع وضع الأسس لنظام ديمقراطي في تونس بعيدا عن غوغاء الإسلام السياسي الذي تعتبر حركة النهضة رمزا من رموزه. ركّزت النهضة على تدمير المجتمع التونسي المنفتح وعلى تشجيع كلّ ما له علاقة بالمس بما تحقّق من إيجابيات في عهدي الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي.

ثمّة حاجة، بكل بساطة، إلى وضع أسس لنظام سياسي جديد يعيد الحياة إلى الاقتصاد التونسي بما يساهم في المحافظة على الطبقة الوسطى التي كبر حجمها في عهد بن علي. لا شكّ أن الفساد كان متفشيا في أيّام الرئيس بن علي، لكنّ ما لا بدّ من الاعتراف به أنّه بقي محصورا في دوائر معيّنة مرتبطة بعائلة "السيّدة الأولى" التي كانت تطمح إلى مرحلة انتقالية تخلف فيها زوجها تمهيدا لتوريث ابنهما في مرحلة معيّنة.

من اللافت أن قيس سعيّد بعيد كلّ البعد عن الفساد وأنّ لا محيط مباشرا لديه يمتلك مصالح تجاريّة وماليّة. هذا يفرض عليه الانتقال إلى مرحلة يضع فيها مع معاونيه، على رأسهم رئيسة الحكومة نجلاء بودن رمضان، برنامجا يعيد الحياة إلى الاقتصاد الذي يحتاج أوّل ما يحتاج إلى بلد مستقرّ وآمن.

ستكون التحدّيات كبيرة في المرحلة المقبلة. هل يبقى الجيش حارسا للجمهوريّة ومؤتمنا عليها كما حصل في الماضي؟ في النهاية، لعب الجيش دوره في مرحلة وضع حدّ لمهزلة بقاء الحبيب بورقيبة في الرئاسة بعدما تجاوز الثمانين في العام 1987 وبعدما فقد الكثير من قدراته الذهنيّة وبات أسير نساء القصر في مقدمتهنّ قريبته سعيدة ساسي. كذلك، لعب الجيش دوره في نهاية العام 2010 عندما اندلعت "ثورة الياسمين" بعدما أحرق محمد البوعزيزي نفسه في سيدي بوزيد. تولى الجيش رعاية خروج بن علي من تونس بهدوء ومن دون إراقة دماء.

الأكيد أن قيس سعيّد يستطيع لعب دور في غاية الأهمّية في مجال ترؤس مرحلة انتقالية يلعب فيها الجيش دور حارس الجمهوريّة والمؤتمن على مؤسساتها، كما فعل سابقا. لكنّ هناك سؤالا يطرح نفسه بقوّة: ما الذي يريده قيس سعيّد حقيقة؟ هل لديه طموحات من نوع أن يكون بورقيبة آخر أو زين العابدين بن علي آخر؟ لا تزال سنّه تسمح له، إلى حدّ ما، بذلك. لا يزال في الـ63 من العمر.

لكنّ علامة الاستفهام ستظلّ مرتبطة بموقف الجيش والأجهزة الأمنيّة التي دعّمته. هل هناك شخصيّة عسكريّة أو أمنيّة تعدّ نفسها لدور ما في مرحلة معيّنة في ظل حال الإفلاس التي تعاني منها الأحزاب التونسيّة كلّها، وليس حركة النهضة وحدها؟

أسئلة كثيرة ما تزال من دون أجوبة في تونس، لكنّ الواضح أن ليس في الإمكان الاستخفاف بقيس سعيّد الذي أظهر صفات قياديّة، خصوصا بعد اتخاذه موقفا واضحا من حركة النهضة ومن راشد الغنوشي بالذات... وبعد تعيينه امرأة في موقع رئيس الحكومة.

يكشف مثل هذا التعيين جرأة كبيرة من جهة وتصميما على المضي في الإصلاحات إلى النهاية من جهة أخرى. كذلك، يكشف أن لا ثقة لديه، وربّما لا ثقة أيضا لدى المؤسستين العسكريّة والأمنيّة، بالشخصيات السياسية والحزبيّة التونسيّة. فنجلاء بودن أقرب إلى شخصية تكنوقراطية أكثر مما هي شخصيّة سياسية.

خلاصة الأمر، أن الكثير يتوقف على نجاح قيس سعيّد بكل ما يمثله الإعداد للمرحلة المقبلة. هذا يعني أن ينجح حيث فشل بورقيبة وزين العابدين بن علي، فشلا في إعداد تونس إلى مرحلة سياسية يكون فيها انتقال سلمي للسلطة عبر انتخابات تجري في أجواء طبيعية لا أكثر ولا أقلّ.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

حين هزم الرئيس التونسي الأحزاب وأنهى فوضاها

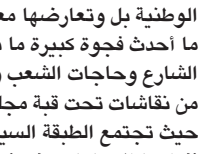
فاروق يوسف
كاتب عراقي

منذ سقوط نظام زين العابدين بن علي اتخذت السياسة في تونس طابعا حزبيا ضيقا، حيث صارت الاختلافات السياسية تجسيدا لنزاعات حزبية تدور حول المصالح التي كلما مضى الوقت يتضح بعدها عن المصلحة الوطنية بل وتعارضها معها وهو ما أحدث فجوة كبيرة ما بين مطالب الشارع وحاجات الشعب وبين ما يتردد من نقاشات تحت قبة مجلس النواب حيث تجتمع الطبقة السياسية ليتبادل أفرادها الاتهامات وفي أحيان أخرى اللكمات.

كان واضحا أن الشعب الذي عانى عشر سنوات من ظروف اقتصادية صعبة بات خارج المدى الذي ينظر إليه السياسيون الذين انتخبهم من أجل أن يروا مشكلاته ويضعون لها حلولا من خلال خبرتهم ونفوذهم وما يملكون من سلطة.

كان هناك كثير من الغبار يخفي معارك طاحنة، ما من واحدة منها قامت من أجل الدفاع عن مصالح الشعب وبالأخص طبقاته الفقيرة. كل تلك المعارك جرت من أجل أن ينفرد طرف بالقرار السياسي وينزع عن الآخرين استحقاقاتهم التي هي الأخرى لا تعكس المبادئ التي تمثل الثورة حسب التعبير الشعبي التونسي.

لذلك اكتسبت القرارات التي اتخذها الرئيس قيس سعيد نهاية يوليو الماضي والقاضية بوضع حد للفوضى السياسية من خلال إقالة الحكومة وتجميد عمل البرلمان طابعا ثوريا جاء بمثابة استجابة للحراك الشعبي الذي يعود إلى أسباب اقتصادية لا تتصل بشكل مباشر بذلك التنوع الحزبي الذي اعتبره البعض نقطة بدء في حياة سياسية تقوم على أسس ديمقراطية ولم يكن يخطر ببال أحد أن يتحول ذلك التنوع إلى سبب في حروب القبائل الحزبية التي وجدت في السلطة فرصة للفساد المالي والإداري.

كان الرئيس سعيد شجاعا في التقاط الفقرات الدستورية التي تتيح لرئيس قيل إنه من غير صلاحيات فرصة الدفاع عن حقوق الشعب التي استلبها الحزبيون بذريعة الديمقراطية.

وليس من المستبعد أن سعيد ما كان في إمكانه أن يقوم بضربته الإنقاذية لو أنه كان منهمكا في أداء مهماته من منظور سياسي. ولطالما تهكم البعض على رئيس دخل إلى قصر قرطاج ولم يسبق له أن مارس اللعبة السياسية.

غير أن الإجراءات التي اتخذها الرئيس سعيد أثبتت أن تونس كانت أنفاسها بعد أن تتمكن الدول التي ترعاها من إنقاذها من الانهيار.

لقد حاول الكثيرون أن يركزوا على عامل الوقت كما لو أن تونس التي تحملت فوضى حركة النهضة عشر سنوات ليس في إمكانها أن تصبر على رئيس نزيه السريرة وقوي العزيمة وصادق في وطنيته بضعة أشهر.

وجاء اختيار السيدة بودن ليؤكد أن الرئيس لا يقدم السياسة على الاقتصاد وأنه لا يسعى لإنقاذ تونس وشعبها عن طريق الشعارات السياسية بل عن طريق العمل على معالجة الملف الاقتصادي الذي هو جوهر الثورة.

ولأن الرئيس لم يكن في يوم من حياته سياسيا فقد أدرك بحسه الإنساني أن كرامة التونسي ليست مرتبطة بصناديق الاقتراع التي استولى عليها المتمكنون بل باطمئنانه إلى مصدر رزقه.

لا تحتاج تونس إلى المزيد من الهذر في السياسة بل تحتاج إلى أن يبنى اقتصادها على أسس سليمة بعيدا عن الفساد وهي دولة ليست فقيرة بثرواتها الأرضية وثروتها البشرية في مجالات الفلاحة والسياحة والصناعات التقليدية.

تلك خارطة وضعها الرئيس سعيد أمام رئيسة حكومته التي تملك خبرة في التعامل مع البنك الدولي وهو ما سيساعدها في التعامل مع المشكلات الاقتصادية التي سيكتشف التونسيون أن معظمها كان من صنع حركة النهضة.

فالنهضة ترى أن تجويع الناس وإشاعة الفوضى ونشر البطالة، كلها عناصر تدفع بالشباب إلى الارتماء بين أحضانها لأنها تنشر الدعوة إلى حياة أفضل في مكان أكثر طهرا من الدنيا.

أما الآن فقد صار الخيار الاقتصادي هو الحل. سيكتشف الشباب أن في إمكانهم أن يحولوا تونس إلى جنة أرضية بشرط أن يصموا آذانهم عن رطانة السياسيين بمختلف توجهاتهم.

قيس سعيد هزم حركة النهضة بقرار دستوري هادئ في الوقت الذي صار فيه أصحاب البطولات الوهمية يتنهدون أسفا على الديمقراطية التي سمحت لهذه الحركة بتهميشهم وتحطيم آمالهم ودفعهم إلى الموقع الذي تحولوا فيه إلى مجرد باعة كلام

في أمس الحاجة إلى رئيس لم تلوثه السياسة بأكاذيبها وحيلها وفسادها. لم يكن متوقعا أن يكون سعيد من النوع المقاتل، غير أنه فعل ما لم يفعله السياسيون الذين يملأون الدنيا صخبا في الحديث عن بطولاتهم.

لقد هزم حركة النهضة بقرار دستوري هادئ في الوقت الذي صار فيه أصحاب البطولات الوهمية يتنهدون أسفا على الديمقراطية التي سمحت لهذه الحركة بتهميشهم وتحطيم آمالهم ودفعهم إلى الموقع الذي تحولوا فيه إلى مجرد باعة كلام.

فعل سعيد ما لا يقوى اليسار التونسي على القيام به.

أما حين كلف الرئيس التونسي السيدة نجلاء بودن رمضان بتشكيل الحكومة الجديدة فإنه أجهض محاولات اليسار قبل حركة النهضة للتشكيك في أنه سيكون قادرا على إدارة مرحلة ما بعد عزل السياسيين عن السلطة. لقد اعتقدوا أن رئيسا لا يملك خبرة سياسية سيسلمه احتضان الشعب إلى دروب متاهة سيظل سجينها إلى أن تستعيد حركة النهضة

رئيس قريب من الشارع